حماية البيئة ورعايتها بين الفقه وكمال السلوك الإسلامي (الجزء الأول)

د.محيي الدين خير الله العوير

سوريا

الملخص

"البيئة، تلوث البيئة، حماية البيئة"، مصطلحات جديدة ظهرت هذا العصر، بسبب خطر محيط بالإنسان وبالأجيال القادمة ...

كثرت الصيحات في الشرق والغرب ، تحذر وتعلن بضرورة الحفاظ على البيئة ، بل وربما تشير بأصابع الاتهام إلى الإسلام بأنّه دين بعيد كل البعد عن الحفاظ عن البيئة.

يبرز البحث المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة الذي يتضمن المحافظة على الإنسان أولاً، ثمّ المحافظة على سائر عناصر الكون، وحينما تصدر الأحكام التي تمنع تلوث البيئة عن النصوص الشرعية، والقواعد الفقهية، فإنّه يصبح من واجب الناس جميعاً أن يلتزموا بها كسائر الأحكام الشرعية، لما فيها من مصلحة عامة للبشرية كلها، إذ عندما يعبث الإنسان بهذه القوانين فإنه يشبه المنتحرَ الذي يقتلُ الآخرين ثم يقتلُ نفسه.

Résumé

Protéger l'environnement : au Fiqh et comportement islamique

La protection, la pollution environnementale: sont de nouveaux termes parus cet âge, à cause des risque qui menacent les humains et les générations de l'avenir .

On entend beaucoup des cris de l'Est et l'Ouest qui avertissent et déclarent la nécessité de protéger l'environnement et peut-être ils accusent l'Islam qu' il ne faisait pas à lui préserver .

Quand l' homme gâtera les lois divines, il ressemblera à un suicide qui tue d'autres personnes, puis il se tue .

Cette recherche montre la grandeur de l'Islam , son rôle à préserver de la terre, par les versets du saint Coran et le Hadith du Prophète , en affirmant l'approche et le comportement islamique qui protègent l' homme tout d'abord, puis en maintenant les autres éléments de l'univers , en assurant aussi que les jugements des sources légitimes, les règles et de la jurisprudence qui empêchent de détruire l'univers, Cela signifie que tout le monde doit les respecter pour l'intérêt de toute l'humanité.

¥

خلق الله تعالى الإنسان وجعله خليفة له في الأرض ليعمرها، وجعل الأرض بما فيها وما عليها أمانة بين يديه، فما رعاها حق رعايتها، بل راح يعيث فساداً فيها كلها، في ترابها ومائها وهوائها، فالتراب يتلوث أو يتحول إلى صحارى، والماء يتلوث بالمبيدات والفضلات، والهواء يتلوث بمئات ألوف الأطنان من الغازات السامة.

وجعل الله سبحانه جسمَ الإنسان أمانة بين يديه كي يرعاه ويستخدمه في رضاه وعبادته، وفي رعاية الأرض وعمارتها، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، فما رعاه حق رعايته، وراح يعيث فساداً في جسمه بما يحمله عليه من السموم كالخمر والمخدرات وإتخام المعدة بالطعام، وإتيان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ناهيك عن التلوث البصري والسمعي الذي أخذ يحيط به...ولو أنّ الإنسان أحسن عِمارةَ الأرض، وأحسن رعاية جسمه ونوى كل ذلك في سبيل الله تعالى، لأثابه الله سبحانه حسن ثواب الدنيا وحسن جزاء الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

"البيئة، تلوث البيئة، الحفاظ على البيئة"، مصطلحات جديدة ظهرت هذا العصر، خوفَ خطر محدق بالإنسان وبالأجيال القادمة...وكثرت هذه الصيحات في الشرق والغرب، تحذر وتعلن بضرورة الحفاظ على البيئة، بل وربما بأصابع الاتهام إلى الإسلام بأنه دين بعيد كل البعد عن الحفاظ عن البيئة.

هذا البحث محاولة بسيطة لإظهار دور الإسلام وفضله في الحفاظ على البيئة كما أرادها الله تعالى أن تكون، فهي أمانة بين يديّ الإنسان أولاً، ومُسخرةٌ له ليستفيدَ منها ويتنعم بها، وفق قوانين الله عز وجل التي قدَّرها تقديراً، وعندما يعبث الإنسان بهذه القوانين فإنه سيماثلُ المنتحرَ الذي يقتلُ الآخرين ثم يقتلُ نفسه، وقد قمت بتقسيم البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول - تعريف مصطلحات البحث .

المبحث الثاني – مكانة البيئة في القرآن الكريم .
المبحث الثالث – البيئة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة .
المبحث الرابع – منهج الإسلام في المحافظة على البيئة .
المبحث الخامس – المشكلات البيئية الأساسية .
المبحث السادس – حكم سقاية الزروع بمياه المجاري الملوثة .
المبحث السابع – القواعد الفقهية المتعلقة برعاية وحماية البيئة .

وقد قمت بتجزئة البحث على جزأين بغية اكتمال موضوع البحث: في الجزء الأول من البحث تطرقت إلى: تعريف مصطلحات البحث؛ مكانة البيئة في القرآن الكريم؛ البيئة في سنة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي الجزء الثاني تطرقت إلى المباحث الآتية، وهي: منهج الإسلام في المحافظة على البيئة؛ المشكلات البيئية الأساسية؛ حكم سقاية الزروع بمياه المجاري الملوثة؛ القواعد الفقهية المتعلقة برعاية وحماية البيئة.

والله تعالى الكريم أسأل أن يكون هذا البحث محاولة لإلقاء الضوء على جانب بارز من جوانب الحياة المعاصرة وموضوعٍ تهتم الإنسانية به، ليبقى للإسلام الدورَ الأهم في الحفاظِ على البيئة، كما أراد لها خالقها أن تكون، ولتزداد قناعة الآخرين بالإسلام بأنه الدّين الملاذُ والملجأ لكل جوانب الحياة التي غطاها بشموله وعمومه وروعته.

المبحث الأول: تعريف مصطلحات البحث:

المطلب الأول: تعريف البيئة: لغة: يعود الأصل اللغوي لكلمة (البيئة) إلى (باء بوأ)، وذكر ابن منظور: باء إلى الشيء يبوء بوءاً أي رجع، وبوّأ بمعنى سدّد، وتبوأ: نزل وأقام، ويقال: (تبوأ فلان بيتاً) أي اتخذ منزلاً، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّأَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [سورة يونس: 87]، ويقال: أباءه منزلاً، أيّ: هيأه له وأنزله فيه، والاسم منه: البيئة، والمباءة بمعنى المنزل. وقد ذكر ابن منظور لكلمة (تبوأ) معنيين قريبين: الأول: بمعنى إصلاح المكان وتهيئته للمبيت فيه، قيل: (تبوأه) أصلحه وهيأه وجعله ملائماً لمبيته ثم اتخذه محلا له؛ والثاني: بمعنى النزول والإقامة، كأن تقول: (تبوأ المكان) أي حلّه ونزل فيه وأقام به، قال

الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة العنكبوت: 58]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة الحشر:9] أيّ الذين سكنوا المدينة من الأنصار واستقرت قلوبهم على الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ، قال ابن منظور: "جعل الإيمان محلاً لهم على المثل، وقد يكون أراد: تَبَوَّءُوا مكان الإيمان وبلد الإيمان فحذف". وفي الحديث الشريف عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1]، ومعنى يتبوأ: ينزل منزله من النار. والباءة: النكاح والتزويج. والمباءة: معطن القوم للإبل حيث تناخ، ومباءة الغنم: منزلها الذي تأوي إليه. والمباءة من الرحم: المكان الذي يكون فيه الجنين[2].

فالبيئة لغة بمعناها الواسع تعني: الموضع الذي يرجع إليه الإنسان فيتخذ منه منزله وعيشه، وهي النزول والحلول في المكان.

اصطلاحاً: يُعرفُ علمُ البيئة الحديث بأنه: "الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر ويؤثر فيها"[3].

وعرّفها مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية الذي انعقد في استكهولم عام 1972م بأنّها: "رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما، وفي مكان ما، لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته"[4]، وقد عرّفتها موسوعة Van Nostrand's Scientific Encyclopedia بأنّها: "مجموعة الظروف والعوامل المادية المحيطة بالكائن الحي ومكوناته"[5]، "ويقابل كلمة البيئة عند الغربيين: (Ecology) علم البيئة، التي صيغت من الكلمتين الإغريقيتين (Logos) بمعنى علم، وكلمة (Oikos) ومعناها (البيت أو الموطن أو البيئة)، حيث استخدمها (إرنست هيجل)[6] للدلالة على العلم الذي يدرس العلاقة بين الكائن الحي وبيئته"[7].

وتجدر الإشارة إلى التفريق بين مصطلح علم البيئة (Ecology)، والبيئة المحيطة (Environment) والتي تُعرف على أنّها: "مجموعة النظم الطبيعية

والاجتماعية التي تعيش فيها الكائنات الحية والتي تستمد منها حاجاتها وتؤدي فيها نشاطها"[8]

"ويتكون معنى البيئة من بُعدين:

أ- البعد الطبيعي: يتألف من الأرض وما عليها وما حولها من الماء والهواء وما ينمو عليها، ويمكن أن يقسم هذا البعد إلى قسمين:

1- البيئة المادية: أي مجموع المكونات غير الحية.

2- البيئة البيولوجية: مجموع الكائنات الحية بما فيها الإنسان.

والعلاقات المتبادلة والتوازن القائم بين هاتين البيئتين هو ما يسمى بالبعد الطبيعي.

ب- البعد المشيّد: ويتألف من المكونات التي أنشأها ساكنوا البيئة الطبيعية، وتشمل المدارس والمصانع والمستشفيات والطرق وما إلى ذلك...، إضافة إلى العادات والتقاليد والمعتقدات التي تنظم العلاقة بين هؤلاء السكان.

والبيئة ببعديها الطبيعي والمشيّد هي الوسط الذي أوجده الخالق لتحيا فيه المخلوقات كافة بما فيها الإنسان، فتؤثر وتتأثر فيما بينها طبيعياً واجتماعياً وتقنياً، وفق نظم وعلاقات معينة"[9].

وقد يستعمل لفظ (البيئة) ويراد به بعض مفردات العلم، من قبيل البيئة الوراثية، والبيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية، والبيئة الريفية، والبيئة البحرية، والبيئة البرية...، لكننا عندما نتحدث عن البيئة نعني بها كل ما يحيط بالإنسان.

المطلب الثاني: حماية البيئة ورعايتها: الحماية في اللغة: المنع والدفع، يقال: حمى فلاناً، أي: منعه ودفع عنه[10]؛ وعلى هذا فإنّ اصطلاح (حماية البيئة) يدل على "المحافظة على البيئة من كل ما يفسدها أو يضر بها ويلوثها".

أمّا الرعاية فإنها تعني: حفظ الشيء وتولي أمره[11]، قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ [سورة الحديد: 27]، أي: ما حفظوها وصانوها حقّ المحافظة والصيانة[12]. وعلى هذا فرعاية البيئة تعني: إحاطتها بالحفظ والعناية والصيانة

المطلب الثالث: تعريف الفقه: "الفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له، سواء أكان الشيء دقيقاً أم جلياً، ويقال فقِه الرجل ويَفْقَه، وفَقُهَ يَفْقُهُ فقهاً وفقاهة: صار فقيهاً، وفَقِه وفقُه: إذا علم وفهم، سواء أصار الفقه له سجيةً أم لا.

ويقال تفقّه الرجل تفقهاً: أي تعاطى الفقه، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة : 122] أيّ ليكونوا علماء به، كما يقال: فقّهه غيره تفقيهاً إذا علمه، ومنه دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهم: "اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ"[13]، أيّ فهمه تأويله، وعلمه معناه، ويقال: رجل فقيه، أي عالم. كما يطلق الفقه على الفطنة، ثم غلب لفظ الفقه على علم الدين والشريعة، لسيادته وشرفه وفضله على سائر العلوم. وجعله العرف -أول الأمر- خاصاً بعلم الشريعة، ثم قصره على علم الفروع منها خاصة، والفقه اصطلاحاً هو: (العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية).

فالعلم: هو الإدراك والمعرفة، والأحكام: جمع حكم، وهو النسبة التامة الخبرية، أي ثبوت أمر لأمر أو انتفاؤه عنه؛ وهو إما أن يكون عقلياً: كالواحد نصف الاثنين؛ أو حسياً: كالنار محرقة؛ أو وضعياً: كالفاعل مرفوع؛ أو شرعياً: كالله واحد، والإجماع حجة، والصلاة واجبة، والشرعية: أي المنسوبة والمأخوذة من الشرع المبعوث به النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، والعمليّة: أي المتعلقة بكيفية عمل، والعمل: إما قلبي كالنية، وإما غير قلبي كقراءة الفاتحة وصلاة الوتر، فهو أعم من عمل الجوارح الظاهرة وعمل القلوب، أي الجوارح الباطنة، والمكتسب: أي المستنبط، الحاصل عن نظر واستدلال واجتهاد، من أدلتها التفصيلية: أي الكتاب، والسنة، والاجماع، والقياس... "[14].

المطلب الثالث - تعريف الكمال السلوكي: الكمال: هو التمام، ومصدرُه كَمَلَ، وكَمَلَ الشيءُ كمولاً: ثبتت أجزاؤه أو صفاته. فهو كامل؛ وكمُلَ فلانٌ كمالاً:

ثبتت فيه صفات الكمال؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: 3]، والكامل من الرجال: الجامع للمناقب الحسنة[15]، والسلوك: لغة من سلك، وسلك الرجل الطريق وفيه وبه سلكاً وسلوكاً: دخله وسار فيه، والمسلك: الطريق، والسلوك: "سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه؛ ويقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك"[16].

والخُلق فهو: حال في النفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروِيَّة، وجمعه: أخلاق. والأخلاق: عِلْمٌ موضوعه أحكام قَيِّمة تتعلق بالأعمال التي توصف بالحسن أو القبح[17].

وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: القسم الأول: ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج لأدنى سبب، وكالذي يجبن من أيسر شيء، وكمن يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه، القسم الثاني: ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالرويّة والفكر، ثم يستمر عليه حتى يصير مَلَكَة وخُلقاً .

والسلوك: عمل إرادي، كقول الصدق والكذب والبخل والكرم...أما الخلق فهو حالة راسخة في النفس وليس شيئاً خارجاً مظهرياً، هو شيءٌ يتصل بباطن الإنسان، ولابد لنا من مظهر يدلّنا على هذه الصفة النفسية، وهذا المظهر هو السلوك، فالسلوك هو المظهر الخارجي للخلق، فنحن نستدل من السلوك المستمر لشخص ما على خلقه، فالسلوك دليل الخلق ورمز له وعنوانه، فإذا كان السلوك حسناً دل على خلق حسن، وإن كان سيئاً دل على خلق قبيح كما أن الشجرة تعرف بالثمر، فكذلك الخُلق الطيّب يعرف بالأعمال الطيبة، والحكمة تتفرّع إلى فروع، وأحد هذه الفروع هو السلوك الحكيم، والتزام فضائل الأخلاق، واجتناب رذائلها ظاهراً وباطناً هو السلوك الأخلاقي الحكيم[18]، والكمال السلوكي: "طرازٌ راقٍ من التصرف في الحياة، يتمثل بالحكمة في تصريف الأمور، وتكون الحكمة بوضع الأشياء في مواضعها، وإعطاء كل أمر ما يناسبه .ويقابل هذا الكمال السلوكي النقص السلوكي، ويتمثل بالحماقة في

تصريف الأمور، وتكون الحماقة بوضع الأشياء في غير مواضعها، ويُسمى الصاعد في سلم الكمال السلوكي حكيماً، ويسمى الهابط في درك النقص السلوكي أحمقاً"[19].

وللكمال السلوكي مجالات يبلغ عددها عدد ما في الحياة من أنواع السلوك، ومن هذه المجالات: التربوية، والإدارية والسياسية، والاجتماعية...والبيئية.

المبحث الثاني - البيئة في القرآن الكريم :

وضحت معظم الآيات القرآنية الكريمة التي وردت في قيم البيئة طبيعةَ العلاقة بين الله سبحانه وبين كل من البيئة والإنسان، وكذلك العلاقة بين الإنسان والبيئة حيث دلّ مجملها على مدى عناية الإسلام بوضع الأساس السليم للسلوك الإسلامي للتعامل مع البيئة مما يؤدي إلى إعادة النظر في مدى العلاقة التي تربط بين الإنسان وبين كل ما يحيط به.

ويمكن استنباط المواضيع المتعلقة بالبيئة الواردة في القرآن الكريم من خلال الفقرات التالية:

أولاً-ربوبية الله عز وجل للبيئة وألوهيتُه لها: ويتبدى ذلك من خلال الجوانب التالية:

1- البيئة من مخلوقات الله سبحانه: الذي قال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: 54].

2- الله هو مالك الملك: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: 255].

3- قيّومية اللهِ عزَّ وجل على شؤون البيئة: القيّومية تعني قيامه سبحانه على كل موجود، كما تعني قيام كل موجود به، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: 255] .

4- تسبيح البيئة لله عز وجل: التسبيح بحمد الله تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الواسع، فإذا الكون كله حركة وحياة، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجية ترتفع في جلال الخالق الواحد العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44] .

5- النهي عن التعبد لمكونات البيئة: فالتعبد لغير الله ضلال لأنه يخرج من غاية الحياة التي جعلت من أجلها، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، كما أن التعبد لعناصر البيئة يعطل الإنسان عن الاستفادة المثلى من هذه المخلوقات لأنه سوف يخافها ويقدسها، وبالتالي لن يحاول الاستفادة منها. قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: 37].

6- تنظيم الاستفادة من إمكانية البيئة بأمر من الله تعالى: ويدور هذا المفهوم حول جانبين أساسين:

الجانب الأول: النهي عن تضييع بعض الموارد البيئية التي كان أهل الجاهلية يحرمونها على أنفسهم، فلا ينتفعوا بها رغم حاجتهم لها، وما ذلك إلا اتباعاً لعقائدهم الفاسدة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 138]، وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: 103].

الجانب الثاني: الاستفادة من إمكانات البيئة هو من حقّ الله تعالى، ويتضح ذلك من تحريم الله تعالى لبعض موارد البيئة، فيقول تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: 3]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: 90].

ثانياً - الحثّ على التفكير في عناصر البيئة واستنتاج العلاقة والتوازن بينها:

تضمنت آيات القرآن الكريم ذكر عناصر البيئة من أرض وسماء وسحب ورياح وسهول وجبال وأنهار وبحار وأشجار وحيوانات مختلفة، وأشارت إلى مالها من خصائص، وما يحدث بينها من تفاعل، وحثت على التفكير فيها واستنتاج القوانين التي تنظم العلاقة بينها، والانتفاع بها على أحسن وجه، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ، وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ، إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ، وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: 3]، كما أشارت الآياتُ الكريمة إلى التوازن المقدّر بين عناصر البيئة، وبيّنت أنّ الله تعالى خلق الأشياء بقدر معين ينسجم مع الحاجة إليه ويتناسب مع غيره من الموجودات التي تتأثر به، فقال سبحانه: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: 33].

ثالثاً- الإنسان خلق من مكونات البيئة: فهو خلق من الماء والتراب، وسيعود إلى التراب، وسيصبح تراباً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12]، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: 20]، وقال عزّ وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 5-6].

رابعاً – الانسان مستخلف مؤتمن على البيئة: تنبع نظرة الإسلام إلى البيئة من المعرفة بالله تعالى والتصور الشامل للإنسان والكون والحياة، وأي خلل في التصور ينعكس فساداً في السلوك، فالإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه سيد هذا الكون، وكل ما في الكون مخلوق من أجله، مسخر له باعتباره الخليفة المؤتمن، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

فموقع الإنسان في هذا الكون يحدد له الدّور الذي ينبغي عليه القيام به لتحقيق المهمة التي أنيطت به، فالإنسان خليفة مؤتمن، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب: 72].

فالخلافة عن الخالق في الخلق، تلزم الإنسان الخليفة بالمحافظة على الكون- المستخلف فيه- حتى يؤدي الأمانة التي حملها فلا يظلم نفسه، فهو سيد هذا الكون، ولتحقيق هذه السيادة سخر له كل شيء حتى يتمكن من أداء الأمانة حيث أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29]، و﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]، و﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ

لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنهَارَ(32)وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم:33]، و﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(12)وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13].و ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:15]، فتشير مجموع هذه الآيات إلى أحقيَّة الإنسان فيما سخر له للاستفادة منه، والتمتع به في حدود الأمانة التي حملها، وإن لكلمة (لكم) في الآيات السابقة دلالة يجب أن لا تغيب عنا، كونها الأصل في مفهوم المحافظ على الكون بما فيه من موارد وخيرات، فهي ليست ملكاً لجماعة دون أخرى، أو لشعب دون آخر، أو لجيل دون جيل، وحق الإنسان عبر الزمان والمكان قائم فيها، فإذا قام الإنسان بأداء الأمانة وفق المنهج المرسوم، سلمت الأجيال المتعاقبة ما سُخر لها صالحاً كما استلمته صالحاً، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، وقال تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: 56].

خامساً – الإنسان مسؤول عن عمارة الأرض وتوزيع مواردها بتوازن: منح الخالق سبحانه الإنسان المقدرة العقلية على التعلم والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع والإرادة الحرة لاختيار أسلوب الحياة التي يقودها إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية، وهذه قدرات تقود ولا ريب إلى تصور دور الإنسان كقوة فاعلة، مفكرة، منفذة، مستقلة...فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام:165].

الإنسان مستخلف، ولكن الاستخلاف يعني إدارة الأرض وليس التصرف فيها وكأنها ملك له، ويعني أيضاً الانتفاع بها دون التصرف والإتلاف بوجه غير مشروع؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [الأعراف: 10]، ويعتبر قيام الإنسان بوظيفة الاستخلاف وفق منهج الله وشريعته طاعةً لله ينال عليها العبد ثواب الآخرة، وهو بقيامه بهذه الوظيفة على هذا النحو يظفر بخيرات الأرض التي سخرها الله له ويفيض الرزق عليه، قال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 66]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج:41]، ولذلك فإنّ عدم قيام الإنسان بوظيفة الخلافة حق القيام، وحسن إدارة الأرض وإعمارها على النحو المطلوب سيؤدي إلى ظهور المشاكل البيئية المختلفة .

خامساً – البيئة جميعها مسخرة للإنسان: سخر الله تعالى ما في هذه الأرض من أجل الإنسان، فجعل نواميسها وقوانينها موافقة لفطرته وطاقاته، وذلك لاستغلال ثروات هذه الأرض وما أودعه الله إياها من ثروات وطاقات ظاهرة على سطح الارض وباطنة من ثروات لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحج: 65]، وقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [لقمان: 20].

وجعل الله سبحانه الأرض لينة سهلة المسالك ليسير الناس فيها طلباً للمكاسب والأرزاق ، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

ويأمر الإسلام المسلمين بتسخير أقصى طاقاتهم في استغلال جميع الموارد وتطويعها لحاجاتهم ومنافعهم لتكون مجتمعاتهم الإسلامية تتمتع بقوة كافية ترهب أعداء الله، تبعاً لأمره تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

- تسخير المعادن والثروات الباطنية: ذكر سبحانه أهمية المعادن في كتابه العزيز، وفي مقدمتها الحديد لمنافعه الكثيرة، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25].

وأفاض الله على نبيه داود عليه السلام بمعجزة عظمى وهي إلانة الحديد، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ: 10-11]؛ ثم كان للنحاس أهمية كبرى كذلك، فأفاض سبحانه على نبيه سليمان عليه السلام بمعجزة عظيمة فأذاب له النحاس، كما ألان لوالده داود عليه السلام الحديد من قبل، فقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ: 12].

- تسخير البحار والأنهار: وهي جزء مما سخره الله للإنسان في الأرض، فالبحار تزخر بثروات متنوعة هائلة من الأسماك والثروات المختلفة، فيقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الجاثية:12]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: 14]، وذلل الله تعالى بقدرته البحر لتسير الفلك على سطحه بمشيئته وإرادته دون أن تغرق وتغوص في أعماقه، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ [لقمان: 31]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ [إبراهيم: 32].

وكما سخر الله البحار، سخر الأنهار الجارية التي تجري فيها الحياة، فيقول سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: 32] يقول عز وجل: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ [النمل: 61]، ويقول تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ [النحل: 15].

- تسخير الأنعام وغيرها من المخلوقات: الأنعام من نعم الله تعالى على عباده التي لا تعد ولا تحصى، واسمها مشتق من النعمة، ويؤكد الله سبحانه

تسخير النعم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (79) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [غافر: 80]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: 142]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: 66]، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ [النحل: 80]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (7) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 5-8].

- تسخير الرياح والماء: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: 48]، وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: 22]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: 45]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا﴾ [ق: 9]، وقال تعالى: ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات:27]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: 63]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5].

- تسخير الأشجار: قال سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (33) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 33-35]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: 11-12]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 24-31].

سادساً - حفظ النوع والسلالة: خلق سبحانه من كل شيء زوجين لضمان عملية التناسل والبقاء وحفظ النوع، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]، فالزوجية هي قاعدة الحياة، بل ربما كانت الزوجية هي قاعدة الكون كلّه لا قاعدة الحياة وحدها، والتركيب الزوجي الذي يتجاوز عوالم الحياة على اختلاف درجاتها إلى صميم المادة هو مصدر التوليد والتكاثر والاتساع والحركة الإيجابية الهادفة إلى ديمومة الاتساع الكوني الذي يتم بإرادة الله من خلال التقابل بين الأزواج، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: 36]، وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: 7]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: 10]، وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [ق: 7].

سابعاً – أثر العبادة والاستقامة على منهج الله في صلاح البيئة: إن عبادة الله وحده بالمفهوم الشامل هو الهدف الذي يتوجب على الإنسان فرداً وجماعة أن يصعّد إليه كافة أوجه نشاطاته الحضارية، أما صلاح النفس وزكاة الضمير واستقامة الأخلاق فهي ثمرة لازمة للعبادة الحقة، وقد جاءت الآيات القرآنية تؤكد أثر العبادات في تزكية النفس، يقول سبحانه:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:45]، ويقول سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

وهكذا يكون الإيمان والتقوى وإقامة منهج الله في الحياة العملية سبيلاً للوفرة والفيض، وسبيلاً إلى إصلاح البيئة وعدم الإفساد فيها، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (65) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 56-66].

إقامة دين الله في الأرض: يعني الصلاح والكسب والفلاح في حياة المؤمنين في الدنيا والآخرة على السواء، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: 16]، ويقول سبحانه على لسان نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: 10-11] فأطمعهم نوح عليه السلام بالحصول على بركات السماء والأرض أن آمنوا بالله الذي بيده مفاتيح هذه الخزائن، وأتاهم عن طريق القلب لتحريك العواطف ولبيان أن ما هم فيه من احتباس الأمطار وما حرموه من الرزق والذرية إنما بسبب كفرهم.

ثامناً–الدعوة للتدبر والتعلم من البيئة: دعا القرآن الكريم الناس إلى التبصر بحقيقة وجودهم وارتباطاتهم الكونية عن طريق النظر الحسي إلى ما حولهم ابتداءً من مواضع أقدامهم وانتهاءً بآفاق النفس والكون؛ وأعطى للحواس مسؤولياتها الكبرى، عن كل خطوة يخطوها الإنسان المسلم في مجال البحث والنظر والتأمل والمعرفة، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

كما دعا الله عز وجل الإنسان إلى التمعن في كل ما حوله حتى في طعامه؛ فقال سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا(28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: 24-28]، وإلى خلقه أيضاً: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: 5]، وإلى الملكوت كله: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 185]، إلى خلائق الله التي تحيط به: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: 17-19]، إلى آياته المبينة في كل مكان: فقال تعالى: ﴿بَعْضِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: 65]، وإلى الطبيعة: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: 50]، وإلى الثمار: ﴿انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: 99]، وإلى الحياة الأولى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20]، ودعاه تعالى أن يحرك سمعه: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: 21]، كما حثَّ الله سبحانه على تحريك العقل لدخول ساحة الإيمان بالله الذي سخر للإنسان ما في السموات والأرض، فقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 242]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الحج: 46]، وقال سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: 191].

تاسعاً – تحريم الإفساد في البيئة: الفساد نقيض الإصلاح، وهو خلل يصيب الشيء فيخرج به عن وظيفته الأصلية، والفساد هو أي خلل يقوم به الإنسان من سلوك شائن أو فعل قبيح أو صفة مرذولة، أو عن أي اضطراب يحدثه الله في الخلق...، والفساد هو كل ضرب من ضروب التغيير والتبديل يقع من الإنسان ويخرج بالشيء عن وظيفته التي خلق من أجلها، لأنه يُفوت المصلحة المبتغاة من ذلك الشيء، ويفضي إلى

انعدام التوازن: بيئياً أو نفسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً...بحسب نوع الفساد أو التغيير. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءتهُ فَإِنَّ اللَّهَ شدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:211]، وقد حفل القرآن الكريم بآيات كثيرة تتحدث عن الفساد الذي يحدثه الإنسان في الأرض من معصية وكفر أو من تفريق الناس عن الدين والإيمان، أو من الجور والظلم وانتهاك الإنسان لحقوق أخيه الإنسان الذي هو انتهاك لحقوق البيئة بصيغة أو أخرى، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251] ويقول تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]، ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 74]، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ [الفجر: 6-11]، ولا شك أن إتلاف مكونات البيئة وقتل الأنعام وتلويث المياه وقطع الأشجار لغير مصلحة عامة، وكل ما يؤدي إلى فساد الحياة يعتبر فساداً، والله لا يحب الفساد ولا المفسدين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: 205] والحرث: محل نماء الزروع والثمار، والنسل: نتاج الحيوانات التي لا قوام للناس إلا بهما، فإفسادهما تدمير للإنسانية وإفساد للبيئة، كما أن فساد قلوب الناس وعقائدهم وأعمالهم يوقع في الأرض الفساد، فنتائج الفساد سيذوقها الإنسان رغماً عنه، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]، فتبين هذه الآية أن الفساد سينتاب البر والبحر، وأن الإنسان هو السبب الرئيس في حدوثه، وهو المتضرر الأول منه أيضاً، وأي ضرر يحيق بمكونات

البيئة وما فيها من مخلوقات سينعكس سلباً على الإنسان نفسه، لهذا ندد القرآن الكريم بكل عمل أو نشاط خاطئ من شأنه أن يؤول إلى الفساد في الأرض، وهو من موقفه هذا يسعى إلى حماية منجزات الإنسان الحضارية ووقف كل ما يعوق مسيرتها ونموها، وقد ورد تحريم الإفساد في البيئة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وكلها يدور حول تحذير المسلم من الإفساد في البيئة، بل يعتبر الإفساد من صفات المنافقين والكافرين، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [سورة الشعراء: 151-152] ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: 85]، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: 36]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

عاشراً–النهي عن الإسراف في استخدام مكونات البيئة: الإسراف سبب رئيس من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها، وهو وإن كان متعدد الصور والأساليب إلا أنه يؤدي بشكل عام إلى نتيجة واحدة وهي إهلاك الحرث والنسل وتدمير التوازن البيئي، ففي النهي عن الإسراف في الإنفاق، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:67]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]، ويقول عز وجل: ﴿يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31]، بل وجعل الله سبحانه المبذرين إخوان الشياطين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: 27]، وحذر سبحانه من المسرفين والتعامل معهم فقال: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ(151)الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: 151-152]، ويعتبر الابتعاد عن الإسراف مبدأ أساس في السلوك الإسلامي ومن خلاله نستطيع المحافظة

على نعم المنعم سبحانه القائل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[الإسراء: 16].

الحادي عشر– نظام الحميات البيئية الطبيعية: عرف الإسلام نظام الحماية الطبيعية للموارد البيئية من خلال نوعين من الحماية، دائمة وفصلية:

1- الحماية الدائمة: وهي تشمل منطقة الحرم المكي والحرم النبوي، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 125]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: 96-97]، فالبيت الحرام مثابة للناس جميعاً فلا يردعهم أحد، بل يأمنون فيه على أرواحهم وأموالهم وأنعامهم وزروعهم، فهو ذاته أمن وطمأنينة وسلام؛ ومنطقة مكة المكرمة لا يصاد صيدها ولا يروع طيرها ولا حيوانها، ولا يقطع شجرها ولا حشائشها؛ أما الحرم المدني المكرم فقد وردت حرمته في السنة الشريفة حيث روى علي ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ»[20].

2- الحماية الفصلية: وهذه الحماية مؤقتة، مرتبطة بزمان الإحرام لمن أراد الحج والعمرة، قال سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: 97] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: 95]، وقال تعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ [المائدة: 96].

المبحث الثالث - البيئة في السنة النبوية الشريفة

تعرضت السنة النبوية لقضايا البيئة في كثير من الأحاديث والمواقف النبوية الشريفة، وبالرغم من أن المشاكل البيئية في ذلك الوقت لم تكن معقدة بهذه الصورة التي هي عليها الآن...، إلا أنّ رسول الله صلى الله

عليه وسلم تطرق في كثير من أحاديثه لأمور البيئة من حيث العناية بها واحترام مكوناتها وعلاج مشاكلها والحثّ على عدم تلويثها والإفساد فيها، فشملت سنته صلى الله عليه وسلم بذلك الوقاية والعلاج لكثير من مشاكل البيئة في عالمنا المعاصر.

ويمكن تحديد القيم البيئية التي تدور حولها كثير من الأحاديث النبوية الشريفة من خلال ما يلي:

أولاً-العناية بالحيوان والرفق به، والنهي عن الإساءة إليه: فالحيوان له طبائعه وخصائصه وشعوره، وهو مسخر للإنسان ولفائدته، في نفس الوقت خلقه الله لتؤدي وظيفتها في الحياة إلى جانب الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[21]، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ» [22]، وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ»[23]؛ وَعَنْ سَوَادَةَ بْنِ الرَّبِيعِ ﷺ قال: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ لِي بِذَوْدٍ ثُمَّ قَالَ لِي: "إِذَا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَمُرْهُمْ فَلْيُحْسِنُوا غِذَاءَ رِبَاعِهِمْ، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ، لَا يَعْبِطُوا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا» [24]، وكان من وصاياه الهامة ﷺ في سبل الحفاظ على رأسمال الثروة الحيوانية عدم ذبح الإناث والمرضعة منها، فروى أبو هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «لَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ»[25]؛ وعن

عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا». وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هَذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»[26].

كما أباح الإسلام الذبح والصيد كونهما الوسيلة التي من خلالها يستطيع الإنسان الاستفادة من لحوم الأنعام، فشرع النبي ﷺ لذلك آداباً وأصولاً رحمة بالذبيحة، فعن شداد بن أوس ﷺ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[27]؛ وعن عدي بن حاتم ﷺ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الصَّيْدِ ، قَالَ: «إِذَا رَمَيْتَ سَهْمَكَ، فَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، فَإِنْ وَجَدْتَهُ قَدْ قَتَلَ فَكُلْ، إِلَّا أَنْ تَجِدَهُ قَدْ وَقَعَ فِي مَاءٍ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي الْمَاءُ قَتَلَهُ أَوْ سَهْمُكَ»[28].

ثانياً - العناية بالنبات والحثّ على الزراعة: يعتبر النبات المصدر الأول للغذاء اللازم لحياة الإنسان والحيوان معاً، وقد اعتنت السنة الشريفة بالثروة النباتية عناية فائقة، فجاءت أحاديث الرسول ﷺ تحث على الزراعة، وأخرى تنهى عن قطع الأشجار: فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ، وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»[29]؛ وعن جابر ابن عبد الله ﷺ قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أُمِّ مَعْبَدٍ حَائِطًا، فَقَالَ: «يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ؟» فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، قَالَ: «فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا دَابَّةٌ، وَلَا طَيْرٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[30]؛ وعنه ﷺ أيضاً أنه قال: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ»[31]، كما أنّ لنا نحن المسلمين في تجربة النبي ﷺ خير هدى ودليل، فعندما قدم أصحاب النبي ﷺ المدينة المنورة، وجدوها شديدة الوباء، فأصابهم من وبائها وحرّها ما جعلهم جميعاً يصابون بالحمى، فجعلوا يشكُون ذلك لرسول الله ﷺ، فعَنْ السيدة عَائِشَةَ رضي الله عنها

قَالَتْ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهِيَ أَوْبَأُ[32] أَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وَصَاعِهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا فِي الْجُحْفَةِ»[33]، ولكننا لو تعقبنا السنة الشريفة لوجدنا أنّ النبي ﷺ جعل مع هذا الدعاء أسباباً غيّر بها من بيئة المدينة المنورة ومناخها، فمنذ وصوله ﷺ أطلق يد الأصحاب في نهضة زراعية لم تعرفها المدينة من قبل، وحفر فيها الآبار بإشراف طلحة بن عبيد الله ﷺ فأصبحت الرقعة الخضراء في المدينة أكبر من أي وقت مضى.

- إحياء الموات: علاقة المسلم بالبيئة علاقة توازن وتفاعل إيجابي، علاقة ترفض التعطيل والاعتزال والترك، إذ إنّ ذلك مناف لفطرة الإنسان ومضاد لوظيفته، كما أنه مناف للحكمة من خلق البيئة التي لم تخلق لتعطل وتترك؛ والمسلم مطالب باستخدام الموارد البيئية وعدم تعطيلها.

وإحياء الموات هو: أن يعمد شخص لأرض لا يعلم تقدّم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك حلّه، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»[34]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»[35].

- الحميات الطبيعية: عرف الإسلام نظام الحماية الطبيعية للموارد البيئية، فحرم الله تعالى مكة المكرمة منذ خلق الخلق، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ: «لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا، فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»، قَالَ العَبَّاسُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ، قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ»[36].

ثالثاً-الماء والحفاظ عليه: حيث وجد الماء وجدت الحياة، فهو العنصر الأساس لاستقرار الإنسان وازدهار حضارته، ولنا في مكة المكرمة خير مثال إذ كانت قفاراً موحشة حين ترك إبراهيم عليه السلام زوجه هاجر والرضيع إسماعيل عليه السلام حتى بدأت هاجر برحلة البحث عن مقوم الحياة الأولى، حتى أظهر الله زمزم وفاض الماء وتجمع الناس وأضحت مكة أم القرى، ولما كان حفر الأنهار والقنوات من مستلزمات الزراعة حثت السنة النبوية على ذلك، وجعلت شق الأنهار وحفر الآبار من الأعمال التي يلحق ثوابها المؤمن بعد موته. فعَن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[37]، وحين قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة قال ﷺ : «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ؟» فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ[38]، ومن الجلي أن رسول الله ﷺ نهى عن كل أمر يؤدي إلى تلويث الماء مهما كان نوعه ومصدره، فعن جابر رضي الله عنه: «عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»[39]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»[40]، ولأهمية عنصر الماء في استمرار الحياة كلها جعله الله حقاً شائعاً بين البشر، فحق الانتفاع به مكفول للجميع، بلا احتكار ولا غصب ولا إفساد ولا تعطيل... فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: "ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ: الْمَاءُ، وَالْكَلَأُ، وَالنَّارُ"[41].

رابعاً - اهتمام السنة النبوية بالمحافظة على المرافق العامة: المرافق العامة ملك للجميع، كالمساجد والطرق والأسواق...ومنفعتها عامة تعود على جميع أفراد المجتمع، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ

فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»[42]، وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[43].

كما أنه لابد من الإشارة إلى أن المحافظة على مكونات البيئة ونظافتها جزء من عقيدة المسلم، فقول: (لا إله إلا الله) رمز العقيدة الصحيحة، و(إماطة الأذى) رمز المعاملة الصحيحة مع الناس ومع البيئة، فنظافة البيئة واجب إيماني عقدي، وإماطة الأذى عن الطريق ليس فيه رفع الأذى عن إنسان بعينه، وإنما هو رفع الأذى عن جميع الناس بلا استثناء، وكما أن التبسم في وجه الأخ والصديق والجار صدقة، كذلك إماطة الحجر وما يؤذي الناس في طريقهم صدقة، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ»[44]؛ بل إن إماطة الأذى عن الطريق قد تكون سبباً في المغفرة لفاعلها، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»[45]، وعن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا، أَوْ فِي سُوقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ، فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا،-أَوْ قَالَ: فَلْيَقْبِضْ بِكَفِّهِ-، أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا شَيْءٌ»[46]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، وَلَا يُؤْذِيَنَّا بِرِيحِ الثُّومِ»[47].

خامساً - اهتمام السنة النبوية بالصحة العامة وبنظافة البيئة: عُني الإسلام بالنظافة عناية لم تُعرف في دين من الأديان، فقد أدخل الإسلام النظافة في نظامه الشعائري والتعبدي، فغدت جزءاً من الحياة اليومية للمسلم، والنظافة لا تقتصر فقط على الفرد المسلم في جسمه وثوبه ومكانه، بل تتسع لتشمل طعامه وشرابه وتغدو سبباً هاماً لعدم إصابته بالأمراض فتكون بذلك عاملاً وقائياً، والوقاية خير من العلاج.

أ- أسس الطهارة والنظافة الفردية: تتميز الصلاة باشتراط الطهارة الحسية لها، فإذا كانت الصلاة مفتاح الجنة فإنّ الطهارة مفتاح الصلاة، فعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ»[48]؛ وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»[49]؛ وعنه رضي الله عنه أيضاً أنه ﷺ قال: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ»[50]؛ وعن جابر ﷺ قال: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ: «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ، وَرَأَى رَجُلًا آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ»[51]؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»[52]؛ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ»[53].

ب-الحفاظ على الصحة العامة والسلامة الفردية من خلال الطعام والشراب: فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَغَلِّقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ- وَأَحْسِبُهُ قَالَ-وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ»[54]؛ وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ»[55]؛ وعن أبي هريرة ﷺ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أَوِ السِّقَاءِ»[56]؛ وعن جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»[57]، وعن ابن عباس ﷺ قال: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ»[58].

ج-الأمر بالوقاية والتداوي من الأمراض والحجر الصحي: عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»[59]؛ وعن أسامة بن زيد ﷺ عن

النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا»[60].

كما أمر ﷺ صحابته أن ينصرفوا إلى نظافة المدينة، وأمرهم أن يرموا قاذوراتها في طريق (الجحفة) غرب المدينة بعكس اتجاه الريح، فحفظ بذلك النبي ﷺ مناخ وبيئة المدينة المنورة، وشعر الناس أن كل شيء بالمدينة المنورة قد تغير، حتى طقس المدينة، الذي مازال إلى زماننا هذا ألطف هواءً ونسيماً من مكة المكرمة، وكان ذلك ببركة النبي ﷺ وحسن توجيهه وإرشاده النبوي.

فهل بعد عملِ وتوجيهِ النبي ﷺ هذا دليل أعظم وأبرز في الاهتمام بسلامة البيئة في الإسلام؟ أو ليس على المسلمين اليوم أن ينظروا ويستفيدوا من سيرة النبي الأسوة ﷺ استفادة صحيحة واعية ليطبقوا ما جاء فيها بما يعود عليهم بالخير الكثير الجزيل في دنياهم قبل آخرتهم!؟.

الهوامش والمراجع المعتمـــدة

(1) البخاري: الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (256هـ): صحيح البخاري، الرياض، دار السلام، ط 2، 1419هـ/1999م، كتاب: الجنائز، باب: ما يكره من النياحة على الميت، ص: 206، رقم الحديث: 1291.

مسلم: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (261هـ)، صحيح مسلم: الرياض، دار السلام، 1419هـ/1998م، مقدمة الإمام مسلم، باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ، رقم الحديث: 5.

(2) ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور المصري (711هـ): لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، باب: بوأ.

(3) الفقي، محمد عبد القادر: المفهوم الإسلامي للبيئة، مجلة الفيصل السعودية، العدد: 225، 1995م، ص: 55.

(4) المصدر السابق، ص: 55.

(2) Van Nostrand's Scientific Encyclopedia : Edited by Douglas M. Considine, Van Nostrand Reinhold Company, New York , U.S.A, Page : 961.

(6) إرنست، هيكل (Ernst Haeckel) 1834- 1919م: طبيب ألماني وفيلسوف وعالم أحياء وتشريح، من أوائل من بحث في علم البيئة.

(7) فرانسكودي، كاسترّي: الإيكولوجيا نشأة الإنسان والطبيعة، مجلة الرسالة، ع239، ص: 50.

(8) الرّباط، عزّة عمر: البيئة وجذور التربية البيئية، دمشق، دار الصباح، 2000م، ص: 15.

(9) المرجع نفسه، ص: 17.
(10) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، 2002م، ص: 173.
(11) المرجع نفسه، ص: 269.
(12) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، ج: 1، ص: 506 .
(13) الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، القاهرة ، مكتبة القدسي، 1414 هـ/1994 م، كتاب: المناقب، بَابٌ جَامِعٌ فِيمَا جَاءَ فِي عِلْمِهِ، وَمَا سُئِلَ عَنْهُ، ج :9، ص: 276، رقم الحديث: 15515؛ وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني بأسانيد، والطبراني: "اللهم علمه تأويل القرآن"، ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح .
(14) سلقيني، إبراهيم : الفقه الإسلامي، دمشق، مطبعة رياض، 1988م ، ج: 1، ص: 3.
(15) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1993 م ، مادة : كمل ، ص : 830 .
(16) المرجع ذاته : مادة سلك ، ص : 462 .
(17) المرجع ذاته ، مادة :خلق ، ص : 261 .
(18) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دمشق ، دار القلم ، ط6 ،2002م ، ج :1 ، ص : 13 .
(19) حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: الحضارة الإسلامية، دمشق، دار القلم، 1998م، ص: 73.
(20) البخاري، كتاب: الفرائض، باب: إثم من تبرأ من مواليه، ص: 1166، رقم الحديث: 6755.
(21) البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها، ص:397، رقم الحديث: 2466.
(22) البخاري : كتاب: المساقاة ، باب : فضل سقي الماء ، ص : 380 ، رقم الحديث : 2365
(23) أبو داود : سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (275 هـ)، الرياض، دار السلام، 1999م، كتاب: الجهاد، باب: في الوقوف على الدابة، ص: 372، رقم الحديث: 2567.
(24) الهيثمي: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (807 هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، 1414هـ/1994م، كتاب: اللباس، باب: في تقليم الأظفار وغير ذلك، ج: 5، ص: 168، رقم الحديث : 8861. قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني إلا أنه قال: «إِذَا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ فَمُرْهُمْ فَلْيُحْسِنُوا أَعْمَالَهُمْ، وَمُرْهُمْ فَلْيُقَلِّمُوا أَظْفَارَهُمْ لَا يَخْدِشُوا بِهَا ضُرُوعَ مَوَاشِيهِمْ إِذَا حَلَبُوا»". وَفِيهِ مُرْجِيُّ بْنُ رَجَاءٍ ، وَثَّقَهُ أَبُو زُرْعَةَ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ ابْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِ أَحْمَدَ ثِقَاتٌ .
(25) الترمذي: (200- 279ه)، جامع الترمذي، الرياض، دار السلام، 1420ه/1999م، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ، ص: 540، رقم الحديث: 2369، وقال أبو عيسى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ » .
(26) أبو داود : كتاب الجهاد ، باب في كراهية حرق العدو بالنار ، ص : 386 ، رقم الحديث: 2675
(27) مسلم : كِتَابُ : الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، باب: بَابُ الْأَمْرِ بِإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ، ص: 873، رقم الحديث: 5055.

(28) مسلم: كِتَابُ: الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ، باب: الصيد بالكلاب المعلمة، ص: 862، رقم الحديث: 4982.

(29) الهيثمي: مجمع الزوائد ، كِتَابُ: الْبُيُوعِ، بَابُ: الْكَسْبِ وَالتِّجَارَةِ وَمَحَبَّتِهَا وَالْحَثِّ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ ، ج 4، ص: 63، رقم الحديث : 6236 .

(30) مسلم: كتاب : المساقاة ، باب : فضل الغرس والزرع ، ص : 679 ، رقم الحديث : 3968 .

(31) البخاري: كتاب : المزارعة ، باب : ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمرة، ص : 376 ، رقم الحديث : 2340

(32) أَوْبَأُ : كثيرة الوباء .

(33) البخاري: كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، ص: 663، رقم الحديث: 3926.

(34) البخاري: كتاب: المزارعة، باب: من أحيا أرضاً مواتاً، ص: 375، رقم الحديث: 2335.

(35) أبو داود: كتاب: الأدب، أبواب: النوم، باب: في قطع السدر. سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: «هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ، يَعْنِي مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ، وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا، وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ ».

(36) البخاري : كتاب جزاء الصيد، باب: لا يحل القتال بمكة ، ص: 296، رقم الحديث: 1834.

(37) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، الرياض، دار السلام، 1999، كتاب: اتباع السنة، بَاب: ثواب معلم الناس الخير، ج:1، ص: 37، رقم الحديث: 242.

(38) البخاري: كتاب: أصحاب النبي ﷺ، باب: مَنَاقِبِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَبِي عَمْرٍو القُرَشِيِّ، ص: 621، بداية الباب.

(39) مسلم: كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد، ص: 132، رقم الحديث: 655.

(40) البخاري: كتاب: الوضوء، باب: البَوْلِ فِي المَاءِ الدَّائِمِ، ص: 44، رقم الحديث: 239.

(41) ابن ماجة: كتاب: الرهون، باب: المسلمون شركاء في ثلاث ، ص : 354 ، رقم الحديث : 2473

(42) مسلم: كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، ص: 948، رقم الحديث: 5563.

(43) مسلم: كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان، ص: 38-39، رقم الحديث: 153 .

(44) الترمذي: أبواب: البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في صنائع المعروف، ص: 454، رقم الحديث: 1956، وقال أبو عيسى: "هذا حديث حسن صحيح".

(45) البخاري: كتاب: الأذان، أبواب: صلاة الجماعة والإمامة، باب: فضل التهجير إلى الظهر، ص: 107، رقم الحديث: 652.

(46) البخاري: كتاب: الفتن، باب: قول النبي ﷺ: من حمل، ص: 1219، رقم الحديث :7075 .

(47) مسلم: كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: نهي من أكل ثوماً...، ص: 226-227، حديث: 1251

(48) أبو داود: كتاب: الطهارة، باب فرض الوضوء، ص: 20، رقم الحديث: 61 .

(49) البخاري: كتاب: الحيل، باب: في الصلاة، ص: 1199، رقم الحديث: 6954.

(50) البخاري: كتاب: الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، ص: 143، رقم الحديث: 887.

(51) أبو داود : كتاب: اللباس، باب: في غسل الثوب وفي الخلقان، ص: 572، رقم الحديث: 4062.
(52) أبو داود: كتاب: الطب، باب : في الأمر بالكحل، ص: 551، رقم الحديث :3878 .
(53) مسلم: كتاب: الطهارة، باب: كراهة غمس المتوضئ وغيره يده المشكوك في نجاستها في الإناء، ص:131، حديث: 643.
(54) البخاري: كتاب: الأشربة، باب: تغطية الإناء، ص: 997، رقم الحديث: 5624 .
(55) الترمذي: الذبائح، أبواب: الأشربة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في التنفس في الإناء، ص: 441، رقم الحديث: 1885، وقال عنه: "هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ " .
(56) البخاري: كتاب: الأشربة، باب: الشرب من فم السقاء، ص: 997، رقم الحديث: 5627.
(57) الترمذي: كتاب: الذبائح، أبواب: الأشربة عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام، ص: 438، رقم الحديث: 1865. وقال عنه: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ".
(58) أبو داود: كتاب: الأطعمة، باب: النهي عن أكل السباع، ص:542، رقم الحديث: 3803 .
(59) أبو داود، كتاب: الطب، باب: في الأدوية المكروهة، ص: 550، رقم الحديث: 3874
(60) البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، ص: 1012، رقم الحديث: 5728 .